ويتركوا السبت وعن صدوق قريبي بين يدي عبد الله فقال رجل أنا منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من
المؤمنين وهل يزيد صالحكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة
ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق وما بقي لله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها
إلا وقد ألقاه إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعاً
أي فرقاً وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة أسباطاً كقولك اثنتي عشرة
قبيلة والأسباط أولاد الأولاد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام
فإن قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً وهلا قيل اثني عشر سبطاً قلت لو قيل ذلك
لم يكن تحقيقاً لأن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطاً
موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل أمماً بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم أمماً لأن كل أسباط كانت
أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة
بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا
فإن قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الإلباس وليجعل الانبجاس مسبباً عن الإيحاء بضرب الحجر
للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به وقوله كل أناس
نظير قوله اثنتي عشرة أسباطاً يريد كل أمة من تلك الأمم الاثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام
وأخوات لها ويجوز أن يقال إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة
وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلاً عليهم في التيه وكلوا على إرادة القول وما ظلمونا وما رجع إلينا ضرر ظلمهم
بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم وإذ قيل لهم واذكر إذ قيل لهم والقرية بيت
المقدس فإن قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن
هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت
سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم
جامعون في الإيجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين
بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد
واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم على البناء للمفعول واسألهم وسل اليهود
وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والإعلام بأن هذا
من علومهم التي لا تعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام
التي يراد بها التقرير في قولك أعددتم في السبت والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية
وعن أبي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من أهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة
لشاطئه إذ يعدون في السبت إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون
بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدون آلات الصيد
يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا الأمر وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل

ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ويوم إسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ علي رضي
الله عنه لا يُسبتون بضم الياء من أسبتوا وعن الحسن لا يُسبَتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا
فإن قلت إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من الإعراب قلت أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل
وسلهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوباً بكانت أو بحاضرة وأما الثاني
فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة شرعاً
ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا
وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وإذ قالت
معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب أمة منهم جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول
في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أي مخترمهم ومطهر
الأرض منهم أو معذبهم عذاباً شديداً لتماديهم في الشر وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة
إلى ربكم أي موعظتنا إبلاغ عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في أن
يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرةً بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني أهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الظالمين
الراكبين للمنكر فإن قلت الأمة الذين قالوا لم تعظون من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من
فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً
لعلمهم بحال القوم وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث
ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه
كان ذلك عبثاً منك ولم يكن إلا سبباً للتلهي بك وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم
يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل
الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون قوماً تزعمون أن الله مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس أنه قال
ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم
وقالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين
أخذوا الحيتان وروي أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به
وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها
ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا
حياضاً تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً
وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له إني أرى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا
وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً ثلث نهوا وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً وثلث قالوا لم تعظون
قوماً وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب
وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا
إن للناس شأناً فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الإنس
والإنس لا يعرفون أنسابهم من القردة فجعل قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)